رسالة إلى أقرانى

لم تكن أزمة العقل المسلم ظاهرة فقد هبطت فجأة على أمتنا الإسلامية (جماعة المسلمين فى العالم)، أزمتنا هى نتاج حقائق سياسية واجتماعية قد وصلت إلى الذروة فى إيقاع الهزيمة بما هو من الأهمية فى غاية - وهى قدرتنا على التفكير المتأنى والتأمل. وقد أصبحت قوالب وأنماط الفكر الخاصة بنا وكذلك تحليلاتنا مجرد ردود أفعال على مصادر خارجية، بدلاً من أن تكون نتاجًا لمبادراتنا الخلاقة من أجل تفعيل الإسلام فى حياتنا المعاصرة.

المكون الأكثر ثراء فى الملكات الإنسانية للمسلم هو قدرته المعرفية. يحتاج الإسلام فى أمريكا إلى العمل الدءوب والمخطط، والذى يسبقه التفكير الجيد والموجه تجاه هدف واضح، و يتوجب على هذا الهدف أن يجعل من الإسلام والمسلمين قوة مهمة تقف على قدم المساواة مع قوى التعددية الأمريكية التى تمنح منظوراً فريداً للقضايا التى تؤثر على وطننا، ونحمل نحن، بوصفنا الجيل الثانى من المسلمين الأمريكيين التزامًا بتحويل هذا الهدف إلى حقيقة خلال حياتنا.

هناك مسئولية على كل مسلم فى هذا العالم للعمل على تحسين مجتمعاتهم التى تحتضنهم، لكن بالنسبة إلى المسلمين الأمريكيين فمسئوليتهم العمل على تحسين العالم بأكمله.

لقد أنعم الله على هؤلاء الشباب بما لم يحظَ به أحد من قبل، من موارد هائلة، وإمكانات ضخمة من أجل التغيير ليس فقط من أجل تغييرحال المسلمين، و لكن لخلق التغيير من أجل كل الناس بغض النظر عن العرق أو الدين أو الانتماءات السياسية أو أية تصنيفات أخرى.

يعمل المسلمون الشبان بطول وعرض هذه البلاد فى مشروعات تهتم بقضايا محلية وعالمية، ناظرين إليها من منظور أمريكى غير مسبوق، و تعمل جماعة من الشبان المسلمين وغير المسلمين، فى مركزهم فى «لوس أنچلوس» باسم (ELEV 8)، متعاونين لتخطيط وتنظيم وإعداد محاضرات عن قضايا الاقتصاد- الاجتماعى، تلقى على الأمريكيين الصغار فى المدارس والمراكز الاجتماعية بطول الساحل الغربى، كما أقاموا ندوات حول قيادة الشباب والتدريب. وفى مارس ٢٠٠٢م، نظمت هذه الجماعة وقادت مسيرة الألف طالب المطالبة بإنهاء التشرد فى لوس أنچلوس. وتوجد عيادة الأمة المجانية فى الجنوب من وسط لوس أنچلوس، هذه العيادة هى واحدة من القليل فى المنطقة التى توفر العناية الصحية المجانية للجميع بغض النظر عن التأمين الصحى، وقد أنشأها طلاب الطب من المسلمين الأمريكيين وسط مجموعة المدارس، وما زالت تُدار من قبل الشبان المسلمين.

الخطأ الجسيم الذى ألاحظه فى هذه الجماعات الإسلامية، والتى تضم نسبة محسوسة من الشباب، هو النقص فى حرية التفكير وحرية التعبير، أستطيع أن أتذكر أننى سافرت بالطائرة للتحدث إلى مجموعة كبيرة من الشباب المسلم، أصابنى الضيق فى الحال نتيجة تصرفهم الجماعى، لم أرَ إلا الهزيمة. تقاعسهم عن التعبير عما يدور بخلدهم أمام آبائهم قد أعاقهم بوضوح فى الوقت الذى أصبحوا فيه فى عمر الجامعة، و لم يكن هناك وجود لحوار؛ لأنهم لم يتدربوا على التفكير أو الحديث أو الكتابة لأنفسهم، و لقد أصبحت مقتنعًا- مع تكرار رحلاتى بطول وعرض البلاد- بأن الشبان من المسلمين الأمريكيين فى حاجة إلى إحياء فكرى. إنهم لا يملكون هوية، ناهيك بهوية المسلم الأمريكى، و سوف تزدهر هذه الهوية فقط إذا كانت هناك ثورة فى الفكر الإسلامى.

لا يقتصر دور الأمريكيين من الشباب فقط على النشاط الموجه إلى حساب حكومتنا على مسئوليتها عن أفعالها المحلية والدولية. نحن أيضًا علينا مسئولية التفاعل مع مسئولينا المنتخبين لتطوير حوار أكثر صحة، وتذكيرهم بالمبادئ التى تمسكوا بها يومًا ما قبل حصولهم على المنصب، وينبغى علينا إخبارهم بأننا نرغب فى الانضمام إلى معاهدة كيوتو(*)، وفى توفير العناية الصحية الأساسية لكل الناس

(*) معاهدة خاصة بتحديد حجم التلوث الصناعى المسموح به للمحافظة على البيئة -المترجم.

داخل وطننا، وفى فهم جذور النظم التى تقيد الأقلية مع ضمان الحريات المدنية للجميع، وذلك لا يمثل إلا البداية.

عندما كنت فى التاسعة عشرة من عمرى كان لى الشرف فى أن دعيت من قبل «الفنانين من أجل جنوب أفريقيا جديدة» إلى مقابلة الرئيس «نيلسون مانديلا» بالنيابة عن المسلمين الشبان فى أمريكا، خلال حديثى معه، سألته النصيحة من أجل خلق تغيير ملموس فى أسلوب تفكير وطنى تجاه مختلف القضايا، وأطلقت على ذلك مسمى «الثورة الفكرية الأمريكية» كان ردُّ «مانديلا» ذا شقين:

(أ) شكّل سؤالى مفاجأة له؛ لأنهم أخبروه عن صفة الشاب الأمريكى العادى بأنه راضٍ عن نفسه وكسول.

(ب) لقد أخبرنى بأن أبنى علاقة أقوى مع المسئولين المنتخبين والمعينين. ولسذاجتى، فقد تلقيت هذه الوصفة من أجل التغيير باعتبارها من رجل لا يعلم شيئًا عن المشهد المدنى الخاص بنا، لقد كنت مخطئًا بوضوح، لقد كان «مانديلا» يمدنى بنصيحة محملة بخبرة تاريخية.

تظهر النظرة السريعة على التاريخ، أن الشباب هم الذين يصنعون التغيير من خلال العلاقات مع صانعى القرار، يملك الشباب نظرة واضحة عما هو صواب وما هو خطأ بدون غمام الأعباء الثقافية أو السياسية.

على المستوى السياسى دائمًا ما كان الشباب هم وسيلة التغيير فى المواقف المختلفة، الشبان الكوبيون هم الذين قادوا معركة الاستقلال فى أنجولا، ولا ينبغى نسيان أن تحرير أنجولا كان القشة التى قصمت ظهر البعير فى تحرير جنوب أفريقيا من الفصل العنصرى. وفى صربيا، كان الشباب من الناشطين هم الذين قادوا المسيرات الشعبية التى أطاحت «بسلوبودان ميلوسيفيتش» القاتل الجماعى، لصالح «كوستونيتشا» ولصالح تنصيب حكومة شرعية. فى مصر، كان الشباب هم قادة البلد فى الثورة ضد الملك فاروق، ورفاقه فى السلطة. التاريخ الإسلامى مملوء بقصص الشباب ذوى التأثير، ومن بينهم «مصعب بن عمير» السفير الشاب للمسلمين فى مكة إلى حلفاء المستقبل من الأنصار (من كل العقائد) فى المدينة قبل هجرة النبى ﷺ، كان هذا الشاب قادرًا على تعبيد الطريق أمام واحد من أوائل

الدساتير التاريخية السلمية التى حظيت بتوقيع تعددية من الشعوب التى كانت تقطن فى منطقة محددة، إنه دستور المدينة.

يتملكنى قلق عظيم على زملائى وأقرانى من المسلمين الشبان؛ حيث أصابهم الرعب والتهديد لانتمائهم للإسلام كجزء من هويتهم. ينبغى أن يصبح الإسلام جزءاً من حياتنا اليومية، بصرف النظر عن أن ما حدث هو أن والديك كانا مسلمين، أو أنهما قد أتيا من بلد إسلامى، أو حتى لأن أصدقاء قد أظهروا الإسلام بصورة إيجابية، وبغض النظر عن أنك قد تحولت إلى الإسلام، أو قد ولدت مسلمًا، فالإسلام يحتاج إلى أن يصبح النور الهادى داخل ذواتنا كأفراد أو جماعة. فى حفل عشاء أقيم بمناسبة تخرج مسلمين شبان فى لوس أنچلوس طلبت منهم ترديد هذا القسم:

«إننى أتعهد بأن أحمل داخل قلبى قبضة أبدية مرفوعة من أجل التآخى مع أصحاب المعاناة على امتداد العالم، والذين منهم داخل وطننا، و سوف أوقف حياتى لصالح هؤلاء المظلومين بدنيّا واقتصاديّا وعاطفيّا، لا يرجع السبب لكون ذلك لطيفًا أو ثوريّا، لكن لأن ذلك هو جوهر الإسلام، ولأننى مسلم فأنا متفرد، ولأننى مسلم، فإن أمريكا فى حاجة إلىّ، حتى تعبر هذه العقبة فى تاريخها غير المسبوق».

* * *

وبعد

الحلف باليمين : هو قسم عادة ما يطلب من شاهد، وغالبًا قبل ما ينطق بالقسم أمام رئيس المحكمة، يطلب منه قول الحق، وأن يجيب إجابات صادقة فيما يتعلق بالأمور التى يُسأل عنها، للتأكيد على أهليته لتقديم الأدلة.

قاموس «وبستر» الموسع والمراجع.

ينبغى على المسلمين الأمريكيين أخذ المبادرة فى تعريف أنفسهم. إن مفهوم «الحلف باليمين/ قول الحق» هو الأسلوب لنشر هذا التعريف بين رجال ونساء وطننا. إنه دور كل مسلم فرد، بوصفه خليفة عن الله، وبوصفه أيضًا مواطنًا فى هذا البلد، أن يقول الحق للسلطة من أجل العدالة لأنفسنا، ولشعوب العالم أيضًا.

إن التحدى الذى يفرضه الآباء المؤسسون على العقل المسلم هو تحدّ متفرد، هو إعادة التأكيد على مبادئ الإسلام التى طالها النسيان، وأسىء إنزالها على الواقع عن طريق النظر إلى الأمام، وإعادة العافية إلى الإسلام لشدة الحاجة إليه فى هذه اللحظة من التاريخ. يوجد تحدّ مماثل للعقل الأمريكى هو إعادة التأكيد على مبادئ الآباء المؤسسين لأمتنا العظيمة، التى طالها النسيان وأسىء إنزالها على الواقع مع استيعاب خريطة السمات المتغيرة للحقائق الخاصة بنا.

لا يمثل هذا الكتاب اعتذارًا أو دفاعًا عن أسلوب حياة ، إنه إعلان الاستقلال الخاص بى، بوصفى مسلمًا أمريكيًا.

* * *